يُفَطِّرُ نَوحُها من جاوروها

أذاعوا سِرَّهم سَفَهًا فضاعوا ... ولو رشدوا لكانوا قد أطاعوا
لَأَلْبَسَهُم وَأَطْعَمَهُم رشادٌ ... وباتوا في الرخاءِ بها وِداعُ
ألا قَولي لِقَوْلِكَ لا أبالي ... وليس سواكَ يا مولى يطاعُ
ألا كَذَبَ الذين على هواها ... يبيعون العقيدةَ لا يراعوا
وقد كانوا كَمَنْ نَقَضَتْ لغزلٍ ... ونَكْثًا بعد قُوَّتِهِ يُضاعُ
يُساقُ بهم لِكُلِّ دَعِيِّ عِجلٍ ... على شُرُفٍ إلى هَلَكٍ تداعوا
كمُذْقَةِ شاربٍ أو وَطْءِ نعلٍ ... وقَبْسَةِ مُعْجِلٍ يُورى صراعُ
لَنُهزةُ طامعٍ باتوا وبتنا ... كلحم الضأن تُجفنها القصاعُ
أفيقوا قبل أن تبدو كُلانا ... ويسمَنَ فوقنا الدودُ الجِياعُ
ولا تَقْفوا سوى أثرًا لعينٍ ... فلا يُقفى السّرابُ ولا الضياعُ
فخيرُ القولِ قولُ بني عليٍّ ... به في اللهِ وَصْلٌ وانتفاعُ
لَيُحزنني التَّفَرُّقُ عن هداهم ... وأَوْلى ما يكونُ له اتباعُ

.

رأيتُ النّارَ تُشْهِبُ في الحنايا ... وفي قلبي لها نبضٌ فزاعُ
كأن الحزنَ ليس على وفاقٍ ... مع الخوفِ الذي منه ارتياعُ
قديمٌ كاللُّبُوسِ وليس يبلى ... وفي خدي له أثرٌ دُماعُ
وفي الأحشاءِ لوعةُ أمِّ رَبْعٍ ... أزالَ لعقلها أمسٌ وداعُ
يُفَطِّرُ نَوحُها من جاوروهاً ... ودُكَّ ثبيرُ واستوتِ الوَداعُ
مُوَلْوِلَةً على من فارقوها ... لها في كل ناحيةٍ سُماعُ

.

كأن هلالَ ذَبْحِ السبطِ قانٍ ... دَمٌ يغلي له خبرٌ شَيَاعُ
فصاروا يَنْحِتونَ لهُ سلاحًا ... كأن الناسَ كُلّهُمُ كُراعُ
لقد أَغْرَوْا بهِ إذْ بايعوهُ ... وكانت بيعةً فيها المطاعُ
فَهُمْ في النَّكْثِ كُلُّهُمُ زعيمٌ ... ورِيحُ الغدرِ مُنْتِنَةٌ ضَواعُ
خِفافٌ للضلالِ فَيَحْلِبُوهُ ... وما غَلَبَ الحليبَ سوى الرضاعُ
إلى نَصْرِ ابْنِ فاطمةٍ ثِقالٌ ... وفي قَتْلِ الحسينِ هم السراعُ
لقد تُبِعا دَعِيًّا آل حربٍ ... وقد عُبِدا كما عُبِدَت سُواعُ

فويلٌ لابنِ سعدٍ حين أفتى ... بأن لهم عن النار امتناعُ
ورغَّبهم لحرب بني عليّ ... فكان له من القوم انصياعُ
فَأَرْكَسَهُم على جهلٍ ضلالاً ... وَدَرَّ لهم من البَغْيِ الضِّراعُ

.

فهَبَّ فتىً لهُ يُدعى عليًّا ... فظنّوا عاد حيدرةٌ فقاعوا
فتىً برٌّ إذا ما شئتَ صِفْهُ ... وهل تَلِدُ الأسودَ سوى السباعُ
لأقصرَ كلُّ من عدُّوا ثناهُ ... ولو قَصُّوا المناقبَ ما استطاعوا
تورّث من أبيه صفاتَ طه ... كريمٌ
كذا من حيدرٍ بطلٌ تجلى ... صادقٌ قمرٌ لِماعُ
وفاطمةٌ له وهبت سجايا ... عظيمُ البأسِ قسورةٌ شجاعُ
ومن حَسَنٍ له جودٌ وعطفٌ ... فكان بذكرها منه انقطاعُ
وكان له الحسينُ أبًا عطوفًا ... له في كل مكرمةٍ بَرَاعُ
فصار له من الخيرِ اجتماعُ

.

فواساه بأشرف ما يُفَدَّى

.

تجمّعتِ السيوفُ على فتاهُ ... وقَدَّمَ نفسه لمّا تداعو
وأَشْرَفَتِ الحتوفُ على حشاهُ ... وكان لها من الحِرَبِ اتباعُ
سطى في الجيش فاستقصاه ... وصار يَصُدُّها عنه البَراعُ
سبعًا يُقارع ... وزلزله فكان له الرُّباعُ
مُفردًا جيشًا خميسًا ... فَيَخْمِصَهُ إذا حَمِيَ القِراعُ
فَيَنْظِمَهُم إذا ما شاءَ حَصْدًا ... ويَفْرِقَهُم وفي الرُّمحِ اجتماعُ
يُجَلْجِلُ هاتفًا فَتَفِرُّ منهُ ... فَيَنْتِقُها فَيَعْلُوها انصداعُ

.

وغاصَ بهم فأسكنهم هباءً ... كَرَغْوَةِ طافحٍ فيها ارتفاعُ
فَهُمْ في الوزنِ أرذلُ من غثاءٍ ... ولكنّ الفضاءَ له ارتجاعُ
يُكَثِّرُهُم على الأرضِ اتصالٌ ... وقد هَبّوا لأهواءٍ أطاعوا
فَعَضَّ لهُ على لُجُمٍ بنانٌ ... كأنَّ الخيلَ في يَدِهِ طَواعُ
ولولا خَتْلُ مُرَّةَ ما أتاهُ ... كما خَتَلَ ابنُ ملجمَ لا يُراعُ
كما يأتي الجبانُ فَشَقَّ هامًا ... بسيفٍ حَدُّهُ سُمٌّ نقاعُ

سقى اللهُ ابنَ مُنْقِذَ من صَديدٍ كَمُهْلٍ ماؤهُ مِنهُ سَفاعُ

.

فَكَرَّ به الجوادُ يُريد غربًا فَغَاصَ بهِ وأَعْيَتْهُ البِقاعُ
فصار لكلِّ ذي إِحَنٍ مَرامًا وصار لكل مُدْمِيَةٍ زِراعُ
فَقُطِّعَ بالسيوفِ تلتْ رماحًا فأشلاهُ مُوَزَّعَةٌ وِزَاعُ
شبيهُ المصطفى وأبي ترابٍ عفيرٌ بالترابِ ولا نِطاعُ
فَهَبَّ له الحسينُ غداةَ نادى فَدارَتْ في محاجِرِها الطِّلاعُ
يعزُّ على أبيكَ وأنتَ مُلقىً فلا يُغنيك إذ غَدَر اللُّكاعُ

.

لقد رقدت بنو عليا نزارٍ بحرِّ الشمس تحرقها السفاعُ
وقد نزلَ البلاءُ بكل حي فصار حماه مكسورًا ضِلاعُ
لقد أفل الفحول على ثراها ولم يبقى سوى بطلٌ مِناعُ
تدرَّع بالهدى وغدى ليسقي وإنَّ لِواءَهُ خَفِقٌ شَراعُ
فحالوا دون أن يَرِدَ المعينا كأن العلقميَّ بِهِ قِلاعُ
تُتابِعُهُ السهامُ بكل طرفٍ كأن لخطوِهِ منها اتباعُ
لَعَيْني دونَ عينيهِ فداءٌ ورأسي دونه فَلَقَ انصداعُ
أيا سهمَ الضَّلالِ إلامَ ترمي فإن العين ليس لها دفاع
توسَّدَ بالعراءِ بلا كفوفٍ فقد وقعا وقد بُتِرَ الذراعُ
ويا عمد الحديد علوت كفرا ونُصْبًا إذ بدا منك الشناع

.

فضُيِّقَتِ الفضاءُ على حسينٍ وإنْ كانت هي البيدُ الشّساعُ
ولم يبقى له بطلٌ يُرَجَّى شريفُ الأصلِ كرارٌ شجاعُ
وحُوصِرَ دونَ شُرْبِ الماءِ فَرْدًا وحُرِّمَ يومَ مَقْتَلِهِ الكَراعُ
فما وطأتْ لهُ بالأرضِ رِجْلٌ وكان لها من القوم اتساعُ
لحتى أنزلوهُ على رضيعٍ يؤبِّنَهُ وقد حل الوداعُ
فقال لهم خذوه فأشربوهُ فإن الطفل ليس له رضاعُ
فأرسل قوسُ حرملةٍ جوابًا فكان له من السهمِ النزاعُ
فَغَسَّلَهُ بدمعِ العينِ صَبًّا وشَيَّعَهُ لوالِدِه الذراعُ

.

وَعَزَّ عليهِ أنْ يَرِدَ المنايا فَيَفْنى في معسكره الدفاعُ
وما لاقَوْهُ حتى أَفْرَدُوهُ فيا لله عُطشانًا مجاعُ
فما زالت تُنَازِلُهُ شريفًا فَتَنْفِرُ منهُ إنْ حَمِيَ القِراعُ
فلا واللهِ حتى أرهقوهُ وَحَلَّ بقلبِهِ سهمٌ نقاعُ
فأرخى واستراحَ على ثراها وكان له إلى اللهِ انقطاعُ
فظنّوا أو فَقُلْ خافوا جميعًا وقد حلَّ المُقِيمُ بهم فِداعُ

.

لقد أدمت له الدنيا حشاها وكان لها على الخسف اطلاع
كأن على صعيد الأرض جمرًا ضرامًا ليس تُسْكِنُهُ الهياعُ
دخانٌ صاعدٌ ورياحُ نحسٍ وخسفٌ حلَّ واندك اليفاعُ
فظنّوا أنهم لَمُواقِعوها لهم في النار تابوتٌ وقاعُ
ولو كفوا لكان لهم أمانًا فما انصرفوا فهم فيها تِباعُ
لقد قتلوا به الإسلام طُرًّا وحلَّ بنا من الذل الخناعُ

.

لقد رقد الحسينُ على ثراها بحرِّ الشمس تنهشه الضباع
وقد أرخت عليه الطيرُ سترًا فأقصى بذلها ما يستطاعُ
وداست صدره خيلُ ابنُ حَرْبٍ فهُشِّمَتِ الشراسفُ والضلاعُ
كأن بصوتها خسفًا مبيناً كأن الأرضَ حَلَّ بها انصداعُ
وحَمْحَمَ صاهلاً فيها جوادٌ شِكايَتُهُ الظليمةُ والضَّياعُ
وهوجِمَتِ الخيامُ كأن فيها صناديدًا ويُخشى من يُطاعُ

.

فلا رقدت لهاشمَ عينُ فحلٍ وزينبُ قد أزيل لها القناعُ
تُجَاورُ أرذلاً من بعد نفلٍ تَبَدَّلَتِ المخابرُ والطِّباعُ
أَيَسْتَتِرُ ظلَّها أسدٌ غضوبٌ فلا يرقى لمطلعها اليراعُ
وتُمسي بعد أن فقدت أخاها لِيُحكى شخصُها وغدى يذاعُ
وتركبُ ضُلَّعًا من بعد نُجبٍ ويسترُ وجهَها تَرِبٌ ذراعُ
لقد أهنى الرقادُ بناتَ هندٍ وباتت وهي آمنةٌ رتاعُ
فوا أسفًا على من ضيعوها أضاعوها وأيَّ حمىً أضاعوا

.